حكايات كليلة ودمنة

9

الجرذ والغراب

تأليف: عبد الحميد عبد المقصود

ريشة: عبد الشافي سيد

إشراف: حمدي مصطفى

تنشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

ج.م.ع

الجرذ والغراب

لمّا رَأى الغُرابُ ما صنَعَهُ الجُرَذُ مع الحمامة المطوّقة وأصدقائها منَ الحمام ، وكيْف خلّص الجميع منْ أسْر الشّبكة ، اندَى إعجابُهُ الشّديدُ بالجُرذ ، ورَغِبَ في مُصادقته . ولذلك تقدّمَ الغُرابُ ، حتّى وقف قريبًا منْ فتحة الجُحْر الذي يعيشُ فيه الجُرَذُ . ثُمّ ناداهُ .

وأطلّ الجُرَذُ برأسِهِ ، فلمّا رَأى الغُراب واقفًا أمامهُ ، اندَى دهشتهُ قائلاً :

ـ منْ أنْت ؟ وماذا تُريدُ ؟!

فقالَ الغُرابُ :

ـ أنا واحدٌ مُحِبٌّ بإخْلاصك في عملك ، ووفائك لأصْدقائك ، ولذلك فأنا أُريدُ مُصادقتك

فطار إليه الجُرذُ مُتَشكِّكًا وقال
ـ ليْسَ بيْنى وبيْنكَ تواصُلٌ ، حتّى تنْشأ بيْنَنا صداقةٌ ، كما تزْعُمُ .
فقال الْغُرابُ مُسْتَنْكرًا :
ـ ولِمَ ذلك ؟!
فقال الْجُرذُ .
ـ لأنَّ الْعاقل يجدُ أنْ يسْعى إلى ما يجدُ إليه سبيلاً ، ويبْتعِد عمّا لا يجدُ إليه سَبيلاً ، فأنْت الآكلُ وأنا طعامٌ وصيْدٌ سهْلٌ لك ـ لابُدّ أنّك تحْتالُ لكيْ تأكُلنى .

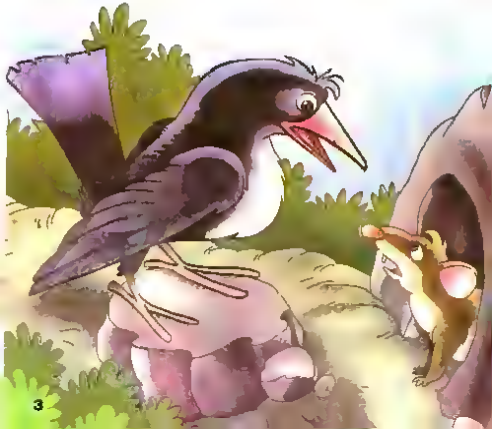

فتعجّبَ الغُرابُ منْ تنكيرِ الجُرَذِ وقال :

- إنْ أكُنْ إيّاكَ لمْ يُغْنِ عنّي شيئًا ، وإنّ مودّتَكَ وصداقتكَ أحبُّ إليَّ منْ ملكٍ . ولَيْسَ منَ الكرمِ أو الحكْمةِ أنْ تردُّني حائنًا ، خاصّةً وأنّي رأيْتُ منْ حُسْنِ خُلُقِكَ ، وجميلِ فعالكَ ما حبّبَكَ إليَّ ، ورغّبَني فيكَ ، فحبّذا أطْلُبُ صداقتَكَ

فقالَ الجُرَذُ :

- ومادا رأيْتَ منّي ، حتّى تسْعى إلى طلبِ صداقتي ؟

فقصَّ عليهِ الغُرابُ ما رآهُ منْ قرْضِهِ الشَّبكةَ ، وتخليصِهِ الحمامةَ المطوّقةَ ورفاقَها منَ الأسْرِ ، وختمَ كلامَهُ قائلاً :

- وإنْ أردْتَ إخفاءَ ذلكَ ، فإنّ العاقلَ لا يُخْفي فضْلَهُ ، وإنْ حاوَلَ إخفاءَهُ فلا بُدَّ أنْ يظْهرَ كالعطْرِ الذي لا يُمْكنُ أنْ تخْفى رائحتُهُ الذكيّةُ

فقال الْجُرذُ

ـ إنَّ العاقل يجبُ ألا يأنس إلى عدوِّه ، خاصةً إذا كان ذكيًا مثلك

وقال الْغُرابُ

ـ يجبُ أن تُدرك بعقلك أنّى ما جئتُ لعداوتك ، ولا قصدتُ سوى طلب وُدِّك وصداقتك ، فلا تزدنى خائفًا ، ولا تُصعّدْ عليَّ الأمر بقولك ليس إلى التواصل بيننا من سبيل

فقال الْجُرذُ

ـ وما الدليلُ على صِدْق ما تقولُ ؟!

فقال الْغُرابُ :

ـ إنَّ الكريم يسْعى إلى صداقة الكريم وطلب مودته ، واللئيم

لا يُصادقُ أحدًا إلا منْ أجْل مَنْفَعَةٍ أوْ مَصْلَحَةٍ أو خَوْفًا مِنْهُ ، حتّى يتّقي شرّهُ وعداوتهُ .

فقال الْجُرذُ :

ـ هذا صحيحٌ

وقال الْغُرابُ :

ـ ما دُمْتَ تعْلمُ ذلك ، وتُصرُّ على رفْض صداقتي ، فأنا مُلازمٌ لمنْزلك ، دُون أنْ أذوقَ طعامًا ، حتّى تُخْبرني أنّك قبلْتَ صداقتي ومودّتي .

فلمّا رأى منه الْجُرذُ ذلك ، علمَ أنّهُ صادقٌ ، فقالَ لهُ :

ـ لقدْ قبلْتُ أُخُوّتك وصداقتك .

وقال الْغُرابُ :

ـ ولكنْ ما منْعك انْ تقْبلها منَ الْبدايةِ ، حينَ عرَضْتُها عليْك ؟

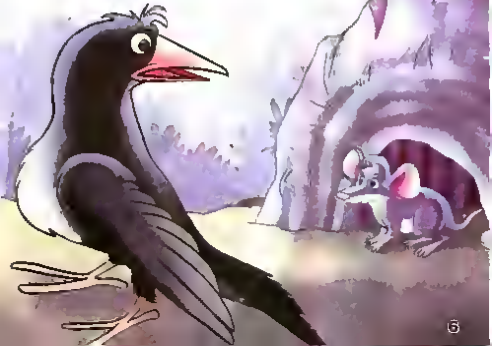

فقال الجَرَدُ :

ـ إنّما بدأتُك بما بَدأتُك به مِنْ صدٍّ ، حتّى لا تَظُنّني سهْلاً سريع الانْخِداعِ في المَأْس ، وإنْ أنْتَ غدَرْتَ بي بَعْد ذلك ، لا تَقُولَنّ ، لقَدْ وجدْتُ الجَرَد غبيًّا سادِحًا ، سريع الانْخداعِ ، سهْلَ صيْدُهُ

وخرج الجَرَدُ مِنْ جُحْرِهِ ، لكنّهُ ظلّ واقِفًا عِنْدَ البابِ ، بعيدًا عن الغُرابِ ، فانْدى الغُرابُ دهْشَتَهُ قائلاً

ـ ما الذي يجْعلُك تقِفُ بعيدًا عنّي هكذا ؟ هَلْ ما زال في نفْسك مِنّي خوْفٌ وشكٌّ ؟

فقال الجَرَدُ

ـ لا يمْعُنى من الاضْطرابِ مِنْك سوءُ ظنٍّ بك ، أو شكٌّ في مَوايِاك الطّيّبة نحوي ، وإنّما يمْعُنى مِنْ ذلك أنّى أعْلمُ أنّ لك أصْدقاءَ ، وقدْ لا يكُونُ رأيُهُمْ مِثْل رأيك فيّ . ورُبّما كانتْ لهم النّفْسُ أمّارَةً بالسُّوءِ ، وهذا ما أخْشاهُ على نفْسي .

فضحك الغُرابُ منْ حذَر الْجُرذ وقال :

ـ إنّ الصّديقَ الْحقَّ هو منْ يكُونُ لصديق صديقِهِ صَديقًا ، ولِعدُوّ صديقِهِ عدُوًّا .

فقال الْجُرذُ :

ـ صدقْتَ . هكذا يجبُ انْ تكُونَ الصّداقةُ الْحقيقيّةُ .

وأضاف الْغُرابُ قائلاً :

ـ ولتعْلمْ أنّني ليْس لي صَديقٌ إلا وسيكُونُ لَك صديقًا مُحبًا ، وأخًا عزيزًا تفرحُ به ، وتأنسُ إليه ، وتقرُّ به عيْنُك ، وإنْ منْ فعل غيْر ذلك فمَعَك قاطعْتُهُ

فأمن الْجُرذُ ، وتقدّم منْ الْغُراب مُصافِحًا وسعد كُلُ منْهُما بصُحْبة الاخر وصداقته .

وصَحْتَ أيَّامٌ ، والصَّديقانِ لا يفْتَرِقَانِ .
وذات يَوْمٍ قَالَ الْغُرابُ لِلْجُرَذِ :
ـ إنَّ حُجْرَكَ قريبٌ منَ طريقِ النَّاسِ ، وأنا أخافُ أنَّ يُصيبَكَ بعْضُ الأطْفالِ بحَجَرٍ ، وأنا أعْرِفُ مكانًا مُنْعَزِلاً عنِ النَّاسِ ، ولى فيه صَديقٌ منَ السُّلاحِفِ ، وهُوَ مكانٌ قريبٌ منْ مَهْرِ فيه كثيرٌ من السَّمكِ ، ونحْنُ واجِدُونَ هناكَ ما نَأكُلُ ، وأنا أُريدُ أنْ أنْطلقَ بكَ إلى هناكَ ، حتَّى نعيشَ آمنيْن

فقالَ الْجُرَذُ :

ـ هيَّا بنا إلى هذا المكانِ ، الَّذى شوقْتنى إلى رُؤْياهُ
إنْ عنْدى قبصْصًا طريقةً سوْفَ اقْصُّها
عَلَيْكَ عنْدما نَصلُ هناكَ .

فَأَمْسَكَ الْغُرابُ صَدِيقَهُ الْجُرَذ مِنْ ذَيْلِهِ ، وطَارَ بِهِ فِي الْفَضَاءِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ ، الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ صَدِيقَتُهُ السُّلَحْفَاةُ الْبَرِّيَّةُ ثُمَّ أَنْزَلَهُ .

فَلَمَّا رَأَتِ السُّلَحْفَاةُ الْجُرَذَ فَزِعَتْ مِنْهُ ، لَكِنَّ الْغُرَابَ طَمْأَنَهَا إِلَى أَنَّ الْجُرَذَ صَدِيقُهُ

فَتَعَجَّبَتِ السُّلَحْفَاةُ وَسَأَلَتِ الْغُرَابَ قَائِلَةً

- وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ، وَكَيْفَ تَعَرَّفْتَ هَذَا الْجُرَذَ ؟!

فَقَصَّ عَلَيْهَا الْغُرَابُ كُلَّ مَا حَدَثَ ولما سَمِعَتِ السُّلَحْفَاةُ الْقِصَّةَ ، عَجِبَتْ مِنْ وَفَاءِ الْجُرَذِ وَذَكَائِهِ ، وَاجْتِهَادِهِ فِي تَخْلِيصِ أَصْدِقَائِهِ مِـــنَ الأَسْـرِ وَرَحَّبَتْ بِهِ صَدِيقًا جَدِيدًا ثُمَّ سَأَلَتْهُ قَائِلَةً

- وَلَكِنْ مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْجُرْذَانَ لا تَعِيشُ فِيهَا ؟!

فتنهّد الجَرَدُ فى ضيقٍ وقال :

ـ إنّ قصّتى طويلةٌ وعجيبةٌ وسوف أقصُّها عليكما ، كما وعدتُ صديقى الغُرابَ

فقال الغُرابُ والسُّلحفاةُ .

ـ ونحنُ سنُنْصتُ بآذانٍ صاغيةٍ

وبدأ الجَرَدُ يحكى قصّتَهُ قائلاً :

ـ كان منزلى وأنا صغيرٌ ، فى مَدينةٍ بعيدةٍ عنْ مدينتكُمْ هذه ، وذلك فى بيْت رجلٍ ماسِكٍ مُتْعبٍ .. وكانَ البيْتُ خاليًا منَ الأهل والأبناء ، فلَمْ يكُنْ فيه سوى هذا النّاسك المتعبد

وكان النّاسكُ يُحْضرُ كلَّ يو

سلّةً منَ الطّعام ، فيأكُلُ م

على قدْر حاجته ثُمّ يُعِ

السَّلَّةُ مَباقِي الطَّعام على جِدارِ في البَيْتِ .

وكُنْتُ أطلُّ مِرأسي مِن الجُحْرِ ، حتَّى يخْرُجَ مِن البَيْتِ ، فأقْفِزَ داخِلَ السَّلَّةِ ، ولا أتْرُكُ فيها طعامًا إلا أكَلْتُهُ منه ، ثُمَّ أرْمِي بالباقي على الأرْضِ ، فتأكُلَ منه بقيَّةُ الجِرْذانِ حتَّى تشْبَعَ ، ولا تتْرُكَ كسْرَةَ خُبْزٍ .

وكانَ هذا الأمْرُ يُضايِقُ النَّاسِكَ كثيرًا ، فأحدَ كُلَّ يوْمٍ يبْحثُ عنْ مكانٍ جديدٍ يُعلِّقُ فيه السَّلَّةَ بالطَّعامِ ، حتَّى لا أصِلَ إليْها ، لكنَّني كُنْتُ في كلِّ مرَّةٍ أبْحَثُ عنْ حيلةٍ جَديدةٍ ، حتَّى أصِلَ إلى السَّلَّةِ ، واسْطُو على كلِّ ما فيها منْ طعامٍ ، فأُفْرِقَهُ على الجِرْذانِ ، وكانَ الجَميعُ في ذلك الوَقْتِ أصْدِقائي وأحِبَّائي ، وكُنْتُ أحَبَّ أصْدِقائِهِمْ إليهِم .

وسكَتَ الجُرَذُ قَليلاً ، وكأنَّهُ تَذكَّرَ شيْئًا أليمًا ، ثُمَّ قالَ :

وذات ليلة نزل بالناسك ضيف ، فقدم له الناسك الطعام ، وأكل معه ، حتى شبعا ، فقام الناسك وعلق السلة على الحائط ثم دار الحديث بينهما ، فقال الناسك لضيفه : مذ أى البلاد أتيت ؟ وراح الضيف يحدثه عن بلده ، والرحلات التى قام بها وكان الرجل قد طاف الدنيا وشاهد عجائبها ، واستمتع بمعرائبها وفي أثناء ذلك أخذ الناسك يصفق بيديه ، حتى يبعدنى عن سلة الطعام ، فغضب الضيف من هذه الضوضاء ، وقال مخاطبا الناسك : اما أحدثك عما سألت عنه ، وأنت تسخر منى وتشوش على ؟! لماذا سألتنى إذن ؟!

فاعتذر له الناسك ، بأنه لم يقصد ذلك ثم قال له

إنما أصفق بيدى حتى أخيف ذلك الحرذ ، وأبعده عن سلة الطعام .. إنه لا يترك شيئا في البيت إلا أكله

فقال الضَّيْفُ والعجبُ يملأُ وجْهَهُ : جُرْدٌ واحدٌ هو الذى يفعلُ ذلك ، أمْ أنَّ هُناك جِردانًا كثيرة ؟!

فقال النَّاسِكُ : البَيْتُ مليءٌ بالجِردان ، ولكنَّ هذا الجُرْدَ العَنيد هو الذى علىَّ ، فعجزْتُ أنْ أجد له حيلةً .

فأخذ الضَّيْفُ يُفكِّرُ قليلاً ، ثُمَّ قالَ : هَلْ تستَطيعُ أنْ تُحْضِرَ لى فأسًا ؟! فأحْضَرَ له النَّاسكُ فأسًا .

وقاطعهُ الغُرابُ قائلاً

ـ ومادا فعل الضَّيْفُ بالفأسِ ؟!

فقال الجُرَذُ :

ـ أخَذ الصَّيْفُ يحْفُرُ جُحْرى ، فعثرْتُ إلى جُحْرِ جارٍ لى واخذْتُ أرْقُبُ ما يحْدُثُ . وبعْد قليلٍ عثر الصَّيْفُ على كيسٍ به مائةُ دينارٍ ، فاخذها وأراها للناسك قائلاً : هذا المالُ هو الذى كان يُقوِّى قَلْبَ ذلك الجُرَذِ ، ويجْعلُهُ يقْفزُ إلى سلّة طعامك .. لقدْ جعَل لهُ المالُ قُوَّةً ، وسترى انَّه لن يستطيع القفْزَ إلى سلّة طعامك مرّةً أخْرَى .

فقالتِ السُّلحْفاةُ :

ـ وهلْ حدَث ما تَوقّعهُ الصَّيْفُ ؟!

فَقَالَ الْجُرَذُ :

ـ وحدث ما هُو اسوأ منْهُ ، فى اليوم التالى اجتمعت الجرذان حَوْلِى ـ كما كان يَحْدُثُ منْ قَبْلُ ـ وَعلمُوا منّى أنْ أحْضر الطّعام منْ السّلّة ، فحاولْتُ الْقَفْز إليها أكثرَ منْ مَرّة لكنّى فشلْتُ ، فَاخذتِ الْجرْدانُ تسْخَرُ منّى ، وانْصرفَ الْجميعُ عنّى وهُمْ يُرَدّدُونَ إنّهُ أصْبح يَحْتاجُ إلى منْ يعُولُهُ . فلمّا رأيْتُ ذلك منْ اغرّ أصْدقائى تَرَكْتُ بيْت السّاسكِ ، وَرحلْتُ إلى هذا المكان الّذى قابلْتنى فيه الْغُرابُ .

فَقالتِ السُّحْفاةُ

ـ مَرْحَبًا بك صديقًا واخًا لنا .

(تَمّتْ)

رقم الإيداع ٣٧٤
الترقيم الدولى ٧ ـ ٣٤٥ ـ ٢٩٦ ـ ٩٧٧